

استراتيجية تعليمية اللغة العربية للمبتدئين الأميين الكبار

الطالب: تَوَّام عبد الله

المشرف: أ.د/ هواري بلقاسم

جامعة أحمد بن بلة - وهران 01(الجزائر)

ملخص باللغة الإنجليزية:

Arabic Learning Strategy for the Adult Illiterate Beginners

Algeria is one of those countries that are still suffering from the issue of illiteracy that impedes the foundation of a community on a right and intact basis, in spite of the attempts that have been made to eliminate it. This can be done through imposing an obligatory education for free, and the establishment of the National Centre for Literacy and the National Office for Literacy and Adult Education. So the aim behind putting an end to such problem is not learning how to read and write, but it is indeed to make them active persons in the community. This leads us to state that the process of rehabilitation of such individuals aims at supplying them with the necessary skills that may help them to be easily integrated into the society.

So, any process of a successful education should base on four significant elements: the teacher, the learner, the method and the program. Therefore, the rehabilitation of the illiterates requires the provision of a perfect teacher aware of their characteristics, and the selection of suitable methods and programs having a direct link with the daily life. However, there is a variety of teaching methods in Algeria; there are some teachers who rely on the programs designed by the ministry of education, because they believe they are good and appropriate for beginners, whereas others view them as meaningless educational programs that don't attract the learner's attention as they may also exceed their levels. In general, one could say that most of teachers select their own syllabi according to their learners' academic ranks.

With regard to the material used in teaching, there are some who use images or videos of conversation when explaining the lessons, especially in oral expression, and there are other teachers who use gestures and dialogues. However, the learning process of an adult illiterate is quite different of the young one. Most of learners, after three years of study, become able to control their reading and writing mechanisms according to the abilities and learning conditions of each one.

So, illiteracy remains a dangerous phenomenon having a negative impact on the individual, the society and the nation as well. This problem should be solved through

different studies and researches made at the national and international levels, by the adoption of a continuous assessment at the beginning and the end of each lesson, and also by the selection of suitable subjects to be discussed, taking into consideration both the technical and aesthetic aspects within the frame of research and study.

تعدّ الجزائر من بين الدول التي تعاني من آفة الأمية التي تعيق إقامة المجتمع على أسس سليمة، رغم الجهود التي بذلتها من أجل القضاء عليها وسدّ منابعها، كفرض إجبارية التعليم ومجانيتها لكلّ طفل يبلغ ست سنوات وخمس سنوات بالنسبة للطور التحضيري، وكذلك إنشاء المركز الوطني لمحو الأمية ثمّ الديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار، وليس الهدف من محو الأمية تعلم الأميين مبادئ القراءة والكتابة فحسب، بل يتعدى ذلك إلى جعلهم عناصر حيوية وفعالة في المجتمع هذا ما يجعلنا نقول إن عملية إعادة تأهيل الأميين تهدف إلى إكسابهم المهارات التي تجعلهم يندمجون في المجتمع بسهولة .

فهل قامت هذه المراكز بنشر الوعي نحو خطورة هذه الظاهرة وسلبياتها؟ وهل استطاعت المراكز والجمعيات إيصال آليات القراءة والكتابة للمتعلمين وذلك من أجل الوصول إلى مبتغاهم والتكيف مع مجتمعهم؟

إنّ أية عملية تعليم ناجحة تعتمد على أربعة محاور أساسية هي: المعلم، المتعلم، الطريقة والبرنامج. وعلى هذا الأساس فإنّ عملية إعادة تأهيل المتعلمين الأميين تتطلب توفير معلم كفء له علم ودراية بخصائص ومميزات المتعلمين، وتتطلب كذلك اختيار الطرق المناسبة وانتقاء البرامج الهادفة والمستمدة من الحياة اليومية للمتعلمين.

والهدف من تعليم اللغة العربية أو المهارات اللغوية (*Compétences linguistiques*) هو اكتساب المتعلم القدرة على استعمال اللغة بمهاراتها الأربع وهي: الاستماع " *écouter* " و"التكلم" *parler* و"القراءة" *lire* و" الكتابة" *écrire*، وتمكنه من قواعدها، أو بمعنى آخر المقصود من تعلم اللغة هو اكتساب المتكلم ملكة استعمال هذه اللغة " فالمعرفة العملية للغة لا تنحصر في أحداث الكلام بل تتجاوزها إلى إدراكه في السماع والقراءة ثمّ الترسخ ليس فقط محصورا في تحصيل لمعطيات في حدّ ذاتها بل في خلق القدرة على التصرف فيها، فالتصرف هو العمل في ذوات الكلم والتراكيب"⁽¹⁾، وتعليم اللغة لا يتوقف عن اكتساب المتعلم للغة وتمكنه من قواعدها، ولكن يتعدى ذلك إلى التحكم في آليات الإدراك للعناصر اللغوية، وفهم مدلولاتها⁽²⁾، وتتمثل هذه الآليات في المهارات الأربع، ولقد كان ابن خلدون من بين الأوائل الذين نّهوا إلى

أهمية ترسيخ هذه المهارات إذ يقول في مقدمته : " وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصل لممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية، في ذلك التي استنبطها أهل صناعة البيان، فإن هذه القوانين إنما تفيد علما بذلك اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها، وقد مر ذلك"⁽³⁾، أما آليات تعليم المهارات الأربع فهي:

1 . تعليم المهارة التبليغية أو التواصلية : *Compétence communicative*

إنّ اللغة باعتبارها أداة للتبليغ والتواصل، تتطلب الاهتمام بالملكة التواصلية. ويعد مصطلح الملكة التواصلية من بين المفاهيم الحديثة التي ظهرت بظهور الدراسات اللغوية التطبيقية الحديثة، ويعد هايمس Hymes أول من تحدث فيه، إذ يعتبر الملكة تواصلية قدرة لغوية تشير إلى أن المتعلم باستطاعته استعمال قواعد اللغة في سياق اجتماعي، لأداء مهمة التواصل حسب المقامات والأدوار المحددة له، وهو بذلك سيتمكن من إنتاج وفهم اللغة من أجل التواصل، فالتمكن من الملكة التبليغية يعني التمكن المحكم في قواعد اللغة وأسس استعمال هذه القواعد لإنتاج الكلام⁽⁴⁾.

2- تعليم مهارتي الاستماع والقراءة: ويتلقى الإنسان عن طريقيهما أفكار الآخرين ويستوعبها، والهدف من تلقين مهارة الاستماع هو الوصول بالمتعلم إلى مستوى معين يمكنه من استيعاب ما يسمع، وذلك بفهم الكلمات والجمل والموضوعات المختلفة، أما الهدف من القراءة فهو إن يصل المتعلم أيضا إلى مستوى يمكنه من قراءة الكلمات والجمل، والنصوص المختلفة⁽⁵⁾.

3- تعليم مهارتي التكلم والكتابة (التعبير الشفهي والتعبير الكتابي): إنّ مهارة التكلّم أو التعبير الشفهي تمكّن المتعلم من الاشتراك في الحوار، في إطار الأفكار العامة والوظائف اللغوية المقررة لكل مرحلة، أما الهدف من الكتابة أو التعبير الكتابي فهو المقدرة على التعبير المكتوب في جمل وفقرات حول موضوعات مختلفة.

لا يتمّ التواصل بشكل جيّد إلاّ إذا تمكّن المتحدث من مهارتي التكلم والكتابة، وهما اللتان نوصل عن طريقيهما الآخرين ما نرغب في إيصاله من أفكار وأخبار وأوامر ونواه، وذلك بالاعتماد على النطق الصحيح وباستخدام التراكيب الصحيحة، وتنظيم الأفكار ووضوحها، والأداء الجيّد، وصحة الكتابة إملائيًا ونحويًا، وسلامة الأسلوب، وهذا ما يجب أن يتوفر في المعلم الجيد خاصة إذا كان الأمر يتعلق في المراحل الأولى .

إنّ الهدف من تعليم المهارات اللغوية للأمين، هو مساعدتهم على استعمال اللغة بطريقة سليمة وعلى أسس واضحة وسليمة، كما أن الهدف من تعليمهم هو مساعدتهم على التواصل اللغوي، و لا يتم ذلك طبعاً إلا بالتحكم في الآليات الأساسية للغة، وهي كما سبق وأن ذكرنا : الاستماع والتكلم والقراءة والكتابة بدرجة تمكنهم من المشاركة الإيجابية في أنشطة المجتمع، وهذا ما سيعمل على تنمية التفكير العلمي السليم لديهم، ممّا يشجّعهم على مواصلة التعليم بعد فترة التعليم.

4- تعليم مهارة القراءة: القراءة متعلقة بإدراك الرموز الخطية، أي حروف وحركات في أشكالها الرمزية المكتوبة، والقدرة على ترجمتها إلى قيمتها الصوتية وإضافة إلى ذلك، تتجلى أهمية القراءة في قدرة المتعلم على القيام بتحويل خطاب منطوق ومسموع، مع إتباع مجموعة من القواعد والقوانين المتعارف عليها⁽⁶⁾، والهدف من تعليم القراءة هو ربط لغة الكلام بلغة الكتابة، وعلى هذا الأساس فإن القراءة ليست بعملية التعرف على الحروف ونطقها فحسب بل إنها إضافة إلى ذلك تترجم الحروف إلى معان وأفكار.

وتهدف القراءة بصفة عامة إلى تنمية قدرات لدى المتعلمين ومن بينها: تنمية القدرة على القراءة الجهورية مع الدقة في نطق الأصوات و الكلمات، تنمية القدرة على الفهم الدقيق المقروء، تنمية القدرة على استيعاب المسموع، و التعبير، و الإملاء و التطبيق العلمي لقواعد النحو بالزام الإعراب و ضبط الكلمات، تنمية الثروة اللغوية بتوظيف المفردات و التراكيب و التعبيرات في سياقات معنوية هادفة وتنمية حصيلة المتعلم من المفردات والتراكيب الجديدة⁽⁷⁾.

ويعتبر الاهتمام بمهارة القراءة من أهم النشاطات التي تمارس في أقسام محو الأمية، ويبدو ذلك من خلال تكريس أكبر وقت ممكن لهذا النشاط وعلى هذا الأساس يجب على المعلم أن يستعمل الطريقة المثلى لتدريس القراءة. إلا أنّ تعلّم مهارة القراءة ليست مجرد تعرف على الحروف والكلمات والجمل، لأن القراءة تتضمن أيضاً القدرة على فهم معاني هذه الكلمات والجمل، كما تتضمن أيضاً القدرة على التركيز، والتذكر، والاستيعاب، وإعادة التعبير عمّا تمت قراءته⁽⁸⁾.

ويمكن تعليم القراءة للمبتدئين بطرق ثلاث وهي: الطريقة الجزئية أو التركيبية، والطريقة التحليلية والطريقة التوليفية:

1.4 - الطريقة الجزئية أو التركيبية: يبدأ المتعلم قراءة الجزء، لينتقل إلى الكل، إذ أنّه يبدأ التعلم بالتعرف على الحروف وأصواتها كأصغر وحدة في الكلمة وبعد ذلك تعلّمها في حالات

الفتح، أو الكسر، أو الضم، ثم بالمد بالألف والمد بالياء، والمد بالواو، ويتم ذلك نطقا ورسمًا، ثم تأتي مرحلة تكوين الكلمات المفردة، والتدريب عليها نطقًا وكتابةً، ثم تأتي مرحلة تكوين الجمل بالاعتماد على الكلمات السابق تعلمها⁽⁹⁾.

ومن مزايا هذه الطريقة أنها تساعد على تعلّم الحروف، و أنّها تؤدي إلى دقة النطق الصحيح، ويؤخذ عليها تعويد المتعلم البطء في القراءة، وتجاهله فهم المعاني، وبالتالي فهي طريقة بطيئة في إحداث التعلّم.

4 . 2- الطريقة التحليلية: يرى علماء التربية أنّ هذه الطريقة تتمّ وفق حالتين: في الحالة الأولى، يبدأ المعلّم بتعليم المتعلمين عدداً معيناً من الكلمات تضم أسماء أشياء مأخوذة من بيئة المتعلم، ومن أفعال يقوم بها في حياته اليومية، ويقوم المعلم بانتقاء هذه الكلمات⁽¹⁰⁾، أمّا في الحالة الثانية، وهي الأساس حسب علماء التربية، لأنّ الكلمة حسب نظرهم لا تفهم معناها إلا من خلال موقعها في سياق الجملة، وذلك لأن الكثير من الكلمات تتشابه في الصورة والشكل ولكنها تختلف في المعنى فضلاً عن دلالة بعض الكلمات على أكثر من معنى، ومن هنا وجد أنه باب أولى أن تكون الجملة هي الوحدة الكلية بدلا من القراءة، وإدراكه للمعنى و يوجد عليها صعوبة التعرف على الكلمات الجديدة، كما تحمل ضبط الحروف بحركاتها، و يقل فيها مستوى الدقة في النطق⁽¹¹⁾.

4 . 3- الطريقة التوليفية (الكلية): نظرا لعيوب ونقائص الطريقتين السابقتين، استحدث الباحثون طريقة الكلية، سموها بالطريقة التوليفية، وتقوم هذه الأخيرة على عرض الكليات، ولكنه لا يبدأ بتحليلها إلى حروف إلا بعد أن يتعرف المتعلّم على مجموعة من الكلمات تساعد على اكتشاف الحروف عن طريق التحليل، وهذه الطريقة هي السائدة في أقسام محو الأمية، إلا أنّ مهارة الاستماع تستدعي توفر مادة مسموعة مرتبطة بخبرات المتعلمين.

5- تعليم مهارة التكلّم (التعبير الشفهي): تعتبر مهارة التكلّم (parler) من بين المهارات اللغوية التي تساعد المتعلم على اكتساب الملكة اللغوية، خاصة إذا تعلق الأمر بالكبار الأميين، لأنهم يستخدمون الكلام أكثر من الكتابة في حياتهم، و التكلّم من أهم ألوان النشاط اللغوي للمتعلّمين الذين يعتمدون كثيرا على التحدث فالتكلم عبارة عن وسيلة أساسية للاتصال اللغوي. وعملية التكلّم ليست بالأمر السهل، بل إنّها عملية عميقة ومعقدة تقتضي التدريب على مهارات متعددة وهي : الاستشارة، التفكير، والصياغة، وأخيرا النطق⁽¹²⁾.

ويجب تدريب المتعلم على التكلم بعد استشارته، حيث يكون ذلك دافعا للكلام، ولا بد أن يفكر قبل أن يتحدث، ويتم ذلك بجمع الأفكار وترتيبها، وانتقاء الألفاظ لموضوع الكلام، ثم يأتي بعد ذلك النطق السليم الواضح و لذلك ينبغي على المعلم أن يهتم بمهارة التكلم، وذلك بخلق المواقف التواصلية لتكثيف ممارستها من قبل المتعلم، إذ أن إثارة التكلم لديه هي الكفيلة بخلق تواصل تعليمي بناء، وذلك بتسيخ الاستعمالات والتراكيب اللغوية السليمة.

إذ ينبغي على المعلم أن يعمل على تنمية عدة مهارات، إضافة إلى مهارة الكلام مثل: تحسب مهارة النطق بمساعدة المتعلمين على إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، ومهارة حسن اختيار الألفاظ المتصلة بموضوع التعبير، أضف إلى ذلك مهارة حسن تكوين الجمل، وذلك باستخدام الجمل الاسمية و الجمل الفعلية، إلا أنّ ما يعيق المتعلم المبتدئ تقارب أشكال بعض الحروف مثل: حرف: ب،ت،ث،ج،خ،ع،غ،س،ش،ر،ز... و هذا التشابه يؤدي إلى حدوث ظاهرة تداخل بعض الحروف و هي من أبرز صعوبات تعلم القراءة والكتابة للمبتدئين و نذكر منها⁽¹³⁾.

6- تعليم مهارة الكتابة: يرى المعلمون أنّ لمهارة القراءة دورا كبيرا في تثبيت و تحسين مهارة

الكتابة، إذ أن هناك علاقة وطيدة بين مهارتي القراءة و الكتابة، حيث تساعد القراءة المتعلم على امتلاك القدرات اللازمة للكتابة، و تعتبر الكتابة نشاطا متكاملًا، يقوم فيه المتعلم بالتعبير عن أفكاره كتابيا، و تحتوي الكتابة على جانبين أساسيين هما مثلا في الجانب الآلي و الجانب الفكري، ففي الجانب الأول يكتسب المتعلم مهارة رسم الحروف، و بالتالي رسم الكلمات، أي يتمثل في الرسم الصحيح و السليم للحروف العربية، و يتأتى ذلك عند التحكم في النظام الكتابي و قواعد الإملاء، أما الثاني يتمثل في التعبير عن الأفكار كتابيا بوضوح، و كما سبق و أن ذكرنا أعلاه فإن لمهارة القراءة دورا فعالا في تحسين المستوى الإنتاجي و الإبداعي سواء كان منطوقا أو مكتوبا، إذ يكتسب المتعلم مهارة انتقاء المفردات المناسبة حتى يتسنى له التعبير عن أفكاره بكل دقة ووضوح⁽¹⁴⁾، و من المعروف أن الكتابة تشمل الخط و الإملاء و التعبير

الكتابي، إلا أن المدارس أثناء تعلمه للكتابة تعترضه عدة صعوبات من حيث شكلها، وضبطها، خاصة تعدد صور الحرف الواحد، إذ تعدد صورته حسب موقعه في الكلمة، فيتغير رسمه حسب اتصاله بالحروف أو انفصاله عنها، فله صورة إذا كان مفردا، و له صورة أخرى إذا كان متصلا بغيره، وثالثة إذا وقع في أول الكلمة، ورابعة إذا وقع في وسطها أو آخرها⁽¹⁵⁾.

أما طرق وأدوات تعليمية اللغة العربية فلم يعد مجرد تلقين لمحتوى هذه اللغة، بل أصبح علما قائما بذاته يتمركز على نتائج الدراسات و البحوث العلمية الدقيقة في مجال طرائق التدريس الحديثة، ومن المعروف أن تعلم اللغة، يعني في الأساس معرفة نظامها اللغوي، الذي يتضمن أنظمتها الفرعية على المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، واستخدام كل ذلك للتعبير عن الذات في كلام متصل لخدمة الأغراض التواصلية، وبطبيعة الحال فإن هذه المستويات لا تكون في خلال عملية التعلم منفصلة عن بعضها البعض، و إنما تأتي متكاملة ينال المتعلم منها في وقت ما بقدر ما رسم له في المنهج⁽¹⁶⁾.

ولتعليم المبتدئين الأميين الكبار مهارتي القراءة والكتابة يجب مراعاة مرحلة النضج الجسمي والعقلي التي بلغوها، والخبرات التي اكتسبوها من تجاربهم اليومية، وحسب خصائصهم النفسية، وحاجاتهم الجسمية والاجتماعية، واستعداداتهم العقلية، ونضجهم اللغوي والاجتماعي، وكذلك مشكلاتهم الأسرية والعملية والاجتماعية والاقتصادية وعاداتهم السلوكية، وأهدافهم الشخصية، كل ذلك ينبغي أن يكون نقطة انطلاق، وموضع الاعتبار في برامج محو الأمية، سواء عند تخطيط هذه البرامج، أو عند تنفيذها وتقويمها، ومتابعتها، أو عند تصميم المناهج ووضع الكتب، أو عند إعداد المدرسين، واختيار طرق التدريس، أو تحديد المكان، أو الزمن المناسب⁽¹⁷⁾.

وعملية محو الأمية وتعليم الكبار الأميين تستدعي عدة عناصر يعتمد بعضها على بعض، وتمثل هذه العناصر في: المعلم، والمتعلم، والطريقة، والمادة المدروسة، والكتاب التعليمي.

6. 1- اختيار الطريقة المثلى للتعليم: إن أهمية طريقة التعليم تظهر حينما تكون منسجمة مع محتوى المادة، أي أن هناك تلازم بين الطريقة والمادة، فإذا ما وجدت الطريقة وكانت المادة ضعيفة تعذر على المعلم القيام بمهمته والتوصل إلى أهدافه بكيفية مجدية، كما أنه إذا توفرت المادة الجيدة، كانت الطريقة غير مناسبة تعذر على المعلم كذلك القيام بمهمته.

يرى الدكتور عبد الرحمن حاج صالح أن طريقة التعليم الجديّة يجب أن تبنى على خمسة مقاييس هي: (18)

- انتقاء المعنى للعناصر التي تتكون منها المادة المعنية، وهي بالنسبة للغة، الألفاظ والصيغ.
- التخطيط الدقيق لهذه العناصر، أي توزيعها المنتظم حسب المدة المخصصة لها وعدد الدروس.
- ترتيبها ووضعها في موضعها في كل درس، حيث تتدرج بانسجام من درس لآخر.

- اختيار كيفية ناجعة لعرضها على المتعلم وتقديمها له، وتبليغها له في أحسن الأحوال.
- اختيار كيفية لا تثقل نجاعة عن السابقة لترسيخها في ذهن المتعلم، وخلق الآليات الأساسية التي يحتاج إليها ليحكم استعمالها بكيفية عضوية.
وتبقى هذه وجهة نظر الدكتور الحاج صالح، ويمكن للمعلم تعديل هذه الخطوات، وذلك حسب الدرس الذي يسعى إلى تقديمه وحسب قدرات المتعلمين .

6 - 2 - الكتاب التعليمي: يعتبر الكتاب التعليمي من أهم الوسائل التعليمية وأكثرها انتشاراً، وأسهلها استعمالاً، فهو أداة ضرورية للمعلم و المتعلم على حد سواء، وتبقى مكانته الخاصة في العملية التعليمية، إذ يبين أهداف التدريس، وأهداف البرنامج المقرر، والمادة المدروسة. كما يعتبر الكتاب التعليمي أداة فعالة، وركيزة أساسية في تحقيق الأهداف التربوية، فالكتاب ليس مجرد وسيلة معينة على التدريس فقط، وإنما هو صلب التدريس وأساسه، لأنه هو الذي يحدد للتلميذ ما يدرسه من موضوعات، وهو الذي يبقى على عملية التعليم مستمرة بينه و بين نفسه إلى أن يصل منها إلى ما يريد⁽¹⁹⁾.

إذن يعتبر الكتاب التعليمي، الوسيلة التي تتضمن بكيفية منظمة للمواد والمحتويات، ومنهجية التعليم، والرسوم، والصور، ويعتبر من المصادر الأساسية للمعرفة، حيث يمكن المتعلم من: فهم اللغة والتحدث بها، قراءة اللغة بيسر، وإدراك المعنى والتفاعل معه، كما يعدّ المرجع الأساس، ينتقى منه المدرّس معلومات يلقونها على المتعلمين، كما يستطيع من خلاله المتعلم معلومات تساعده على الفهم وتثبيت المعلومات، فهو الوعاء الذي يحتوي على المادة التعليمية.

6 - 3 - المعلم المتكوّن: يعدّ المعلمّ عنصراً أساسياً وفعالاً، وركيزة رئيسية في عملية التعليم، وعلى المعلمّ أن يكون على معرفة بسيكولوجية المتعلمين المبتدئين الأُميين الكبار، حيث يراعي خصائصهم النفسية والاجتماعية أثناء تعليمهم، ويراعي الفروق الرئيسية بينهم في القدرة على التعلّم، فقد يواجه المعلم مجموعة من المتعلمين الأُميين بينهم فروق، ولكلّ منهم مميزات وعيوبه أثناء عملية التعلّم، لذلك يجب على المعلمّ أن يتفطن إلى أنهم يختلفون في درجة النضج، فبعضهم أكثر نضجاً من الآخر، وبعضهم يريد أن يتعلّم كل شيء، والبعض يريد أن يتعلّم شيئاً محدوداً⁽²⁰⁾، وأن يكون المعلمّ على معرفة بالوسائل التعليمية وطريقة الاستفادة منها لتعليم الأُميين الكبار، وكذا أدوات التقييم ووسائله المختلفة، كتمرينهم على القيام بالتدريس للأُميين على سبيل الحقيقة أو التمثيل ليكتسبوا الخبرة الفعلية لهذا الموقف من خلال الممارسة⁽²¹⁾.

أما عن استعمال العامية في دروس اللغة العربية، فالملاحظ أنّ المتعلمين الكبار كثيروا الاستعمال للعربية الدارجة (العامية) في كتاباتهم وتعبيرهم، وهذا شيء طبيعي، مع العلم أنّ لديهم القدرات اللازمة لاستعمال اللغة العربية الفصحى، ممّا أحدث تفاعلا بين العامية والفصحى في لغة المتعلم، باعتبار العامية اللغة الأولى التي يتحدث بها المتعلم وباستمرار، أي أن ملكة الفصحى سبقتها ملكة العامية، يقول ابن خلدون: " فإن الملكة إذا سبقتها ملكة أخرى في المحل، فلا تحصل إلا ناقصة مخدوشة" (22)، وعلى هذا الأساس، تصبح العربية العامية السند الذي يعود إليه المتعلم، كلّما اقتضى الأمر ذلك، أي عندما يتعذر عليه التعبير عن غرض معين بالعربية الفصحى فهو يستعين بلغته الأولى (العامية) ليسدّ النقص في إمكانياته بالفصحى التي لا يتقنها تماما.

والظاهر أن استعمال الدارجة، داخل حجرات الدرس سواء في تعليم اللغة العربية ذاتها أو في تعليم مواد تعليمية أخرى، يعود أساسا إلى العجز عن استعمال الفصحى من جهة، وغلبة اللغة العامية في الاستعمال اليومي (الحياة اليومية) من جهة أخرى (23)، أمّا اللغة العربية الفصحى فهي تضمن التواصل بين مختلف الشرائح الاجتماعية، كما تضمن الأداء الجيد لكل الوظائف التبليغية والإعلامية، يقول إبراهيم اليازجي في هذا الصدد: "...لأنّه لو تعلّم اللغة العامية وحدها لبقيت اللغة الفصحى مبهمّة عليه، ولو تعلم الفصحى وحدها لسمع من الألفاظ العامية ما لا يفهمه... والقوم لا يستغني عن كلتا اللغتين، إحداهما للمفاوضات اللسانية و المصالح اليومية والأخرى لفهم ما يكتب ولا سيما في الجرائد السياسية" (24).

ويبقى تعليم المبتدئين الأميين الكبار، يتطلّب :

- تحديد الأهداف التعليمية قبل بناء البرامج التعليمية، إذ تعتبر معيارا يساعد المعلم على اختيار الطريقة المناسبة، وانتقاء الوسائل اللازمة لتنفيذ البرنامج.
- تطوير برامج ومناهج تعليم الكبار الأميين، و يتم ذلك بالاعتماد على النظريات التعليمية الحديثة، والبحوث العلمية الدقيقة في هذا المجال، والتي تكشف عن خصائص ومميزات وقدرات وحاجيات وميولات المتعلمين الكبار الأميين.
- وضع برامج مناسبة لكل فئة من المتعلمين، ويتم ذلك بتحديد برنامج خاص لفئة الشباب وتحديد برنامج خاص بالمسنين، نظرا لاختلاف خصائص كل فئة.
- مراعاة المعلمين للفروق الفردية بين المتعلمين، حيث إن لكل واحد منهم استعداداته وظروفه الخاصة.

- اعتماد أسلوب التقييم المستمر في بداية كلّ درس، وعند إنجائه، إذ تعتبر هذه المرحلة محطة أساسية، يتحقق فيها المعلّم من بلوغ نتائج الأهداف المرسومة سابقا، كما تبين الصعوبات التي يعاني منها المتعلّمون، وبالتالي يتمكن المعلّم من وضع الحلول المناسبة لمعالجة هذه النقائص وتحديد خطوات تنفيذ البرنامج في ضوء نتائج التقييم التي لا يمكن فصلها عن العملية التربوية.
- مراعاة المعلّم مستوى المتعلمين أثناء تقديمه للدروس، أي الانتقال بصفة تدريجية من السهل إلى الصعب، و يأتي ذلك بالبدء بالدروس البسيطة وبلغات بسيطة مناسبة .
- وضع كتاب تعليمي خاص بالمتعلمين المبتدئين الأميين الكبار، يتماشى مع مستواهم وخصائصهم، ويأتي ذلك بإخضاعه لمقاييس دقيقة و مدروسة، كاختيار المواضيع المناسبة لهم، مع مراعاة الجانب الفني و الجمالي.
- تكثيف الدروس، لأن أربع أو خمس ساعات في الأسبوع ليست كافية للتقدم في البرنامج، ولا لتحسين مستوى المتعلمين.
- تشجيع المتعلمين المتفوقين، وذلك بتيسير السبل المساعدة على إتمام تعليمهم بعد تخرجهم من مراكز محو الأمية، كتوجيههم لمراكز تعميم التعليم لمواصلة دراستهم.
- إلا أنه يعاني عدد كبير من المتعلمين الأميين من عدم استيعابهم للدروس، وضعف تذكّركم لها رغم مآثرهم على المراجعة، وحسن انتباههم أثناء إلقاء المعلم للدرس، أمّا فيما يخص عدم الاستيعاب الجيد للدروس، ممّا يجبر المعلّم على مراجعة الدروس السابقة في كلّ حصة تليها، وشرح الدروس عدة مرات، حتى يتسنى للجميع الفهم والاستيعاب، وهذا يعتبر عائقا أمام عدم التقدم في الدروس بالنسبة لفئة بسبب معاناة فئة أخرى لعدم استيعابها، خاصة و أن عدد الساعات المخصصة للدروس لا تتعدى أربع ساعات في الأسبوع.
- أمّا فيما يتعلق بالمشاكل الصحية فإنّ أغلبية المتعلمين الكبار يعانون من ضعف البصر، ممّا يؤثر على عملية التعلم بصفة مباشرة .
- كما أنّ مجموع المتعلمات يعانون من صعوبات في نطق بعض الحروف إذ بلغت نسبتهم، وتجدر الإشارة إلى أن صعوبات النطق يعاني منها تقريبا كل المتعلمين الذين ليس لديهم أسنان، أو أسنانهم اصطناعية، إذ تبين مثلا عدم تمكنهم نطق حرف السين بصفة جيدة.
- إلا أنّ طريقة التعليم (التدريس) تبقى متباينة في الجزائر، فهناك من المعلمين من يعتمد على البرامج المقررة، وذلك لأنهم يرون بأنها برامج جيدة وتناسب المتعلمين المبتدئين، وهناك من يرون

بأنها برامج غير هادفة، ولا تثير اهتمام المتعلم، بل وتفوق مستواه أيضا، وعلى العموم فإن أغلبية المعلمين يقومون بوضع البرامج بأنفسهم حسب المستوى الذي يدرسونه، وحسب كفاءات وقدرات المتعلمين.

أما الوسائل المعتمدة في تحضير الدروس، فهناك من يستعمل الصور (صور المحادثة) عند شرحه لبعض الدروس، خاصة إذا تعلق الأمر بخصّة التعبير، وهناك من يستعمل الإشارات اليدوية، وهناك من يستعمل طريقة الحوار بين المتعلمين، وهناك من يستعمل تسجيلات الفيديو أو الشاشة الكبيرة .

وفي الأخير إنّ دراسة واقع تعليم اللغة العربية للأميين في مراكز محو الأمية، ومن خلال تحليل وتقييم عملية التعلّم بالنسبة للأميين الكبار ليست كعملية تعليم الأميين الشباب أو الصغار، إنّ أنّ أغلب المتعلمين بعد ثلاث سنوات من التعلّم يتمكنون من التحكّم في آليات القراءة والكتابة وينسب متفاوتة حسب قدرات وظروف كلّ متعلم.

وتبقى خطورة الظاهرة وسلباتها على الفرد والمجتمع والوطن، مشكلة وطنية لا بد من علاجها، بعدم التوقف عن الأبحاث والدراسات لتطوير هذا المجال أكثر، بل الانطلاق نحو الآخر من أجل الاستفادة من تجارب الدول المختلفة في هذا المجال، كاعتماد أسلوب التقييم المستمر أثناء عملية التعليم في بداية كلّ درس وعند انتهائه، واختيار المواضيع المناسبة للمتعلمين، مع مراعاة الجانب الفني والجمالي في عملية التعليم، في إطار البحث والدراسة.

ويبقى تعليم الأميين جزءا لا يتجزأ من سياسة التعليم، ولا يأتي ذلك إلا بتوفير كلّ الوسائل اللازمة والأساليب العلمية الحديثة والبرامج المدروسة، والمعلمين الموجهين خصيصا لتعليم الأميين وذلك من أجل إنجاح عملية محو الأمية، وبالتالي نتوصل إلى إعادة تأهيلهم وإدماجهم في المجتمع بكل سهولة، ويتمّ سد منابع الأمية، وذلك بإتاحة فرصة التعليم لكلّ من حرم منه لسبب من الأسباب.

مراجع البحث:

- (1) عبد الرحمن حاج صالح، الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، المجلة العربية للتربية والثقافة والعلوم، س: 1985، المجلد 5، ع: 02، ص 29.
- (2) عبد الرحمن حاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، المجلة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1985، المجلد 5، ع: 2، ص 65.
- (3) ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني - ابن الهيثم، القاهرة، ط2، ص 497.

- (4) عبد اللطيف الفارابي وآخرون، معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجية والديداكتيك، سلسلة علوم التربية، س 1994، ص 44.
- (5) نايف حرما، علي الحجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، سلسلة عالم المعرفة، ع: 126، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مطابع الرسالة، الكويت، س 1988، ص 55.
- (6) المصطفى بن عبد الله بشوك، تعليم اللغة العربية وثقافتها، الهلال العربية، ط2، الرباط 1994، ص 270.
- (7) ينظر: محمودي إسماعيل صيني وآخرون، مرشد المعلم في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط2، س 1985، ص 217.
- (8) المرجع نفسه، ص 100 .
- (9) ينظر: محمد رجب فضل الله، الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية، عالم الكتب، ط1، س 1998، ص 25.
- (10) طه حسين الديلمي وآخرون، اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها، عالم الكتب، ط1، 1995، صص: 109-110.
- (11) محمد رجب فضل الله، الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية، م.س، ص 80 .
- (12) علي أحمد مذكور، منهج تعليم الكبار، النظرية والتطبيق، دار الفكر العربية، ط1، س 1996، ص 267.
- (13) ينظر المرجع نفسه، ص 269.
- (14) ينظر المصطفى بن عبد الله بشوك، تعليم اللغة العربية وثقافتها، م.س، ص 280.
- (15) ينظر: معروف نايف محمود ، خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس بيروت، 1985، ص 150.
- (16) المرجع نفسه، ص 221.
- (17) عبد المنعم سيد عبد العال، طرق تدريس اللغة العربية، دار غريب للطباعة، القاهرة، د.ت، ص 145.
- (18) عبد الرحمن حاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، س 1974، ع4، صص: 62-63.
- (19) أبو الفتوح رضوان وآخرون، الكتاب التعليمي، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1962، ص 103.
- (20) حمد منير مرسي، الاتجاهات الحديثة في تعليم الكبار، عالم الكتب ، القاهرة، ط 1997، ص 140.
- (21) عبد المنعم سيد عبد العال، طرق تدريس اللغة العربية، دار غريب للطباعة، القاهرة، د ت، ص 152.
- (22) ابن خلدون، المقدمة، فصل: في تفسير لفظة الذوق في مصطلح أهل البيان ، م.س.س، ص 1088.
- (23) ينظر: الطاهر لوصيف، منهجية تعليم اللغة العربية وتعلمها، رسالة ماجستير في اللغة العربية، 1996، ص 74.
- (24) إبراهيم اليازجي، الفصحى و العامية، "سلسلة الروائع"، ع 41، س 1982، ط4، دار المشرق، بيروت، لبنان، ص 21.